ظهور حركة الخوارج في الجزيرة الفراتية

FIRAT DELTASI'NDA HÂRİCÎ HAREKETLERİN ORTAYA ÇIKIŞI

Dr. Öğr. Üyesi Hüseyin ALİ
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı
husen222@hotmail.com

Atıf Gösterme: ALİ, Hüseyin, (2019), ظهور حركة الخوارج في الجزيرة الفراتية, *Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),* 2019 (4), 45-54.

Geliş Tarihi:

22 Mayıs 2019

Kabul Tarihi:

23 Haziran 2019

© 2019 AGİİD

Tüm Hakları Saklıdır.

الملخص: هذا البحث فيه عرض تاريخي لمنطقة الجزيرة الفراتية ومدنها واستعراض لحركة الخوارج وقادتها التي ظهرت في منطقة الجزيرة الفراتية والتي كانت مركزاً في فترة من الفترات للدولة الأموية والعباسية وكانت تلك المنطقة مسرحاً لحروبهم ومعاركهم مع مركز الخلافة آنذاك. حيث كان ظهور الخوارج سبباً رئيساً من أسباب سقوط الدولة الأموية

يظهر البحث أن حركة الخوارج ظهرت بعد معركة صفين وكان للخوارج تأثير كبير في الأحداث السياسية بشكل خاص في منطقة الجزيرة الفراتية وتم الإشارة إلى أنه كان على رأس القبائل التي تولت زعامة الخوارج بكر بن وائل تحت قيادة يزيد بن مزيد الشيباني والضحاك بن قيس الشيباني حيث بايعه مئة ألف شخص بالخلافة وكلاهما من بكر بن وائل وسنرى في هذا البحث تاريخ حركة الخوارج وأبرز قادتها والأحداث والمعارك التي تسببوا بها للمنطقة في تلك الفترة وكيف ساهمت ثورات الخوارج في إضعاف الدولة الأموية مما ساهم في إسقاطها لاحقاً.

الكلمات المفتاحية: *الخوارج، الجزيرة الفراتية، الصفرية، الضحاك بن قيس*

Özet: Bu araştırma Fırat Deltası ve şehirlerinin tarihi, Emevi/Abbasi devletleri döneminde merkez olan Fırat Deltasında ortaya çıkmış Hâricî hareketleri ve liderlerini konu edinmektedir. O tarihlerde hem Hâricîlerin hem de halifeliğin merkezi olan bölge savaş bölgesiydi. Hâricîlerin ortaya çıkması Emevilerin yıkılmasında önemli bir etken olmuştur. Hâricî hareketleri Sıffin savaşından sonra ortaya çıkmıştır. Özellikle Fırat deltası bölgesi siyasi olaylarında büyük bir etkileri olmuştur. Bekr b. Vâil'den Yezid b. Mezid eş-Şeybani ve el-Dahhâk b. Kays eş-Şeybani komutasında Hâricîlerin liderliğini üstlenmişler, yüz bin kişi el-Dahhâk b. Kays'a biat etmiştir. Yine bu araştırmada Hâricîlerin tarihi faaliyetlerini, en önemli komutanlarını, o dönemde bölgede meydana gelen olayların ve savaşların sebep olduğu gelişmeler anlatılmıştır. Buna ek olarak Hâricîlerin ayaklanmaları, Emevilerin çöküşüne ne gibi katkılarda bulundukları da anlatılmıştır

Anahtar Kelimeler: *Hâricîler, Fırat Deltası, sufriler ,el-Dahhâk b. Kays*

تمهيد

أطلق الجغرافيون اسم الجزيرة على الجزء الشمالي من الأراضي المحصورة بين نهري دجلة والفرات[1]وما يتبعها من الأقاليم والمدن الواقعة غربي دجلة وشرقي الفرات، فهي تشكل الجزء الشمالي من العراق والشمالي الشرقي من سورية والجنوبي من بلاد الأناضول في تركيا[2].

وتعرف بأنها "صحيحة الهواء جيدة الريع والنماء واسعة الخيرات"[3]. وأطلق عليها أرض (بلاد الرافدين) وأيضاً حسب التسمية اليونانية "ميزوبوتاميا" أي بلاد ما بين النهرين[4].

وترجع تسمية الإقليم بـ" الجزيرة الفراتية" إلى أن نهر الفرات يحيط به من جهات الغرب، والشمال، والجنوب، ويمتد الفرات في أراضي الجزيرة أكثر من امتداد دجلة فيها، وعلاوةً على ذلك فإن البعض يشير إلى أن المدن الفراتية الواقعة غربي الفرات تنسب إلى الجزيرة، وهذا ما يجعل المدن والقرى الواقعة على جانبي الفرات الشرقي والغربي تشكل نسبة كبيرة من أرض الجزيرة فلعل ذلك أيضاً مما يسوّغ إطلاق هذا الاسم على الجزيرة بأسرها من باب إطلاق الخاص على العام لاسيما إذا كان هذا الخاص يشكل نسبة كبيرة من هذا العام[5].

وهي تضم مدنا كالموصل وسنجار[6] وجزيرة ابن عمر[7] ونَصِيبِين[8] ورأس العين [9] وماردين وديار بكر(آمِدْ) ومَيَّافَارِقِين[10] والرقة والرُّها [11] وغيرها من المدن والبلدات.

ولقد كان لموقع الجزيرة الفراتية، أثر كبير على استقرار السكان بها فقد كانت منطقة فاصلة بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية التي تنازعتها كل منهما. وقد تميزت الجزيرة الفراتية منذ القدم وحتى حقب متأخرة من العصور الإسلامية بموقعها

---

[1] دار الطباعة السلطانية، باريس، 1246ه/1830م، أبو الفداء، المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت:732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، ص273. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت:340ه/951 م)، **مسالك الممالك**، مدينة ليدن الهولندية، مطبعة بريل، 1346ه/1927م، ص71. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ، ط4، د.ت، ص5. قوينجو، مولود، **مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة**، مجلة جامعة صقاريا للآداب والفنون، عدد1، 2008م، ص131.

[2] ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت:684ه/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1411ه/1991م، ج3، ق1، ص39.

[3] ابن حوقل النصيبي، أبوالقاسم محمد بن علي(ت:٣٦٧ه/٩٧٧م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412ه1992م، ص189، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت: 626ه/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397ه/1977م، ج2، ص134.

[4] مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العربية**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422ه/2002م، ج7، ص597. . قوينجو، **مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة**، ص131.

[5] الخرعان، عبدالله بن عبدالرحمن بن زيد، **إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1409ه/1989م، ص5.

[6] **سنجار:** مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهي في لحف جبل عال ويقولون إن سفينة نوح عليه السلام لما مرت نطحته فقال نوح: هذا سنٌ جبلٍ جار علينا فسميت سنجار، قال ابن الكلبي: إنما سميت سنجار وآمد وهيت باسم بانيها. **المصدر نفسه**، ج3، ص262. وتقع حالياً في العراق.

[7] **جزيرة ابن عمر**: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام ولها رستاق مخصب واسع الخيرات وأحسب أن أول من عمّرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وكانت له امرأة بالجزيرة وذكر قرابه سنة 250ه، وهذه الجزيرة تحيط بها دجلة إلا من ناحية واحدة شبه الهلال. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص138. وتقع حالياً في تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة 1120كم.

[8] **نَصِيبِين**: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، **المصدر نفسه**، ج5، ص288. وقد وصفها ابن حوقل فقال هي من أجل بقاع الجزيرة وأحسنها. ابن حوقل، **صورة الأرض**، ص191. وهي تقع في جنوب تركيا حالياً تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة 1024كم.

[9] **رأس العين**: مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة تقع بين حرَّان، دُنَيْسَر، و نَصِيبِين، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**،ج3، ص14.وتقع حالياً في تركيا ومقابلها مدينة بنفس التسمية في الجانب السوري تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة 925كم.

[10] **مَيَّافَارِقِين:** أشهر مدينة بديار بكر، ومعنى اسم مَيَّافَارِقِين (مَيَّا) اسم الأودية (وفَارِقِين) اسم امرأة بنتها فكأنهم يقولون أودية فارقين، ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج3، ق1، ص260. وتقع اليوم في تركيا واسمها حالياً سيلفان(silvan.وتبعد عن العاصمة أنقرة 959كم

[11] **الرُّها**: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء بن البَلَنْدي ابن مالك بن دعر، **المصدر نفسه**، ج3، ص106. وبعد ذلك سميت بأورفة أيام العثمانيين وهي الآن محافظة تقع جنوب تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة 804كم. وتسمى أيضاً مدينة إبراهيم الخليل حيث يقال أنه المكان الذي رمي فيه بالمنجنيق وأقيم في ذلك المكان مسجداً سمي باسمه وفيه بحيرة ماء وأسماك بلون أسود يقول الناس أن الحطب الأسود الذي أوقد قد تحول إلى أسماك.

الجغرافي و(الاستراتيجي) المهم، فهي صلة الوصل بين بلاد الشام والعراق من جهة، كما أن ثغورها ربطتها بالبلاد المجاورة كالدولة البيزنطية من جهة أخرى.

وقد تميزت بالموارد الطبيعية التي ساعدتها على تكوين موارد اقتصادية من إنتاجها المحلي، بالإضافة إلى غناها السكاني المتنوع بين طوائف متعددة، مما جعلها تختلف عن غيرها بالصبغة السكانية وبالتمازج الذي حصل بين هذه الطوائف وأنتج مجتمعاً متحضراً واشتهرت مدن الجزيرة: كالموصل وماردين ونَصِيبِين والرقة والرُّها لدى الرحالة والجغرافيين فوصفوها بأفضل الصفات، وكانت هذه المدن مراكز اقتصادية تجارية، وزراعية، وصناعية، ومراكز علمية، وفكرية مهمة.

ينقسم إقليم الجزيرة الفراتية على أساس وجود القبائل العربية التي دخلت الإقليم قبل الإسلام، حيث ينقسم إلى ثلاث ديارات ونسب كل قسم إلى القبيلة التي سكنته وهذه الأقسام هي: ديار بكر، ديار ربيعة، ديار مضر[12].

أولاً ــ ظهور حركة الخوارج في الجزيرة الفراتية

الخوارج لغة جمع خرج يخرج خروجاً وهي مشتقة من الخروج، و أما التعريف الاصطلاحي فقد قال الشهرستاني: بأن الخوارج هي كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة وعلى الائمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين والأئمة في كل زمان[13].

(ت:40ه/661م) في هذه τظهر حزب الخوارج في منطقة الجزيرة الفراتية إثر معركة صفين، ذلك أن جيش الإمام علي المعركة ضم بين جنباته أعداداً كبيرة من المقاتلة من قبائل متعددة، وبعد عدة جولات من القتال تم إيجاد مخرج لوقف الحرب، فأشير على معاوية (ت:60ه/680م) طلباً لتحكيم كتاب الله بينهما [14] . وكان لهذه الفكرة أثر في إثارة البلبلة في صفوف جيش بذلك على τ. فخرجت فئة منهم تطالبه بقبول التحكيم، ورفضت الاستمرار في القتال، وانقسم جيش الإمام عليτالإمام علي نفسه، وكاد أن يقع القتال بين أفراده، فاضطر إلى قبول التحكيم، وبعد قبوله وقفت الجماعة نفسها تعلن رفضها له، وتطالبه بالتراجع عن قبوله مردِّدة مقولة" لا حكم إلا لله". فكان أول الخارجين أحد بطون ربيعة، وفي مقدمتها أعاريب بكر بن وائل، وقد يكون لخروجهم صدىً في منطقة الجزيرة الفراتية، بسبب وجود بكر فيها[15].

ويبدو أن تأثير الخوارج بشكل عام بين سكان الجزيرة بدأ بعد معركة النهروان مباشرة، يؤكد ذلك ما جاء في إحدى روايات الشهرستاني (ت:548ه/1153م) التي تقول:" لم يفلت من الخوارج بعد النهروان إلا أقل من عشرة، انهزم اثنان منهم إلى عمان، واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة الفراتية، وواحد إلى تل موزن، وواحد إلى اليمن، وقد ظهرت بدع الخوارج في جميع هذه المواقع التي قصدوها مما يدل على قوة تأثيرهم فيها" [16] .

ويبدو أن تحديد عدد الناجين بعشرة غير صحيح، وقد يكون عدد زعمائهم، ولكن يتضح لنا من رواية الشهرستاني أن الخوارج الذين نجوا بعد معركة النهروان أخذوا يعملون على نشر فكرهم في المناطق التي انهزموا إليها، وقد أثمرت جهودهم، وظهرت بدعهم في تلك المناطق، ومنها منطقة الجزيرة. فبالإضافة إلى أعاريب بكر بن وائل، فإن قبيلة تغلب التي اعتزلت القتال بعد انتهاء معركة صفين، وما لبثت أن تأثرت بالخوارج واعتنقت فكرهم وأخذت تعمل مع بكر بن وائل في

---

[12] ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج 3، ق1، ص40، المقدسي، محمدبن أحمد(ت:380ه/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، ط2، 1324ه/1906م، ص137. شميساني، **مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/921ه**، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407ه/1987م، ص15.

[13] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1413ه/1992م، ج1، ص105.

[14] الصلابي، علي محمد، **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنيين علي بن أبي طالب**، مكتبة الصحابة، الشارقة، 1425ه/2004م، ج2، ص640-641.

[15] العمري، سعاد أحمد، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1416ه/1995م، ص152.

[16] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص109.

نشره في المنطقة، فقد أشار الهمداني، (ت:334ه/945م) إلى الشُّرَاة من تغلب، ومناطق نزولهم. كما استجاب بعض أفراد قبيلة النمر بن قاسط للفكر الخارجي، وعملوا على نشره حتى بين النصارى منهم، فاستجاب لدعوتهم الخطار النمري. ومن الملاحظ أن قبيلة بكر بن وائل تولت زعامة خوارج الجزيرة تحت قيادة صالح بن مسرح (ت:76ه/696م) وبعد وفاته تولى رجال من شيبان من بني بكر بن وائل قيادة الجيوش، ولم يتول رجال تغلب القيادة، ولعل سبب ذلك انشغال قبيلة تغلب في صراعها مع قيسية الجزيرة، ولربما لأن بكر بن وائل كانت من أوائل من اعتنق الفكر الخوارجي، أو لكلا السببين[17].

لقد أجمعت الروايات على القول بأن الجزيرة الفراتية كانت مركزاً للخوارج سواء منهم الصفرية، أو أصحاب الأفكار الخوارجية الأخرى الذين انتشروا في بعض مناطقها. من تلك الأقوال ما جاء على لسان أحد رجال السياسة المعاصرين للدولة الأموية وهو محمد بن علي بن عبدالله بن عباس (ت:125ه/743م) الذي تزعَّم الدعوة العباسية منذ سنة(98ه/716م)، ورفض أن يتخذ من منطقة الجزيرة الفراتية مركزاً لدعوته، واختار خراسان عوضاً عنها، فقد أكد على كثرة الخوارج في الجزيرة الفراتية حتى وصفها قائلاً: "وأما الجزيرة فحرورية، مارقة، وأعراب كأعلاج [18]، ومسلمون في أخلاق النصارى". ويؤكد كثرة الخوارج في الجزيرة من الصفرية وغيرهم ما جاء على لسان بعض المؤرخين عند حديثهم عن الجزيرة، من ذلك ما ذكره ابن عبد ربه (ت:328ه/940م) عنها قائلاً: " الجزيرة كلها خوارجية لأنها مسكن ربيعة ورأس كل فتنة". أما المسعودي (ت:346ه/958م) فقد أشار إلى وجود فرق أخرى من الخوارج في الجزيرة غير فرقة الصفرية بقوله:" والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج، وبلداتهم من الأرض مثل سنجار، وتل أعفر من بلاد ربيعة، والسن والبوازيج مما يلي بلاد الموصل" [19]، وفي معرض كلامه عن الكور التي غلبت فيها الخوارج ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري(ت:330ه/942م) في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أن الجزيرة والموصل وعمان وسجستان غلبت فيها الخوارج[20].

بينما يشير القشيري (ت:465ه/1073م) إلى وجود فرقة الإباضية بقوله: "إن حرب صفين كان لها أثر في إباضية الرقة"[21].

فمن الأقوال السابقة عن الخوارج نستنتج بأن الفكر الخوارجي انتشر بين قبائل ربيعة بشكل كبير إضافة إلى انتشاره بين قبائل أخرى، ولعل ذلك يعود إلى أن ربيعة من أكبر قبائل الجزيرة الفراتية وأوسعها انتشاراً، وتزعم رجال من بطونها قيادة الثورات الخوارجية فيها ضد الأمويين. فبدا وكأن الربعيين جميعهم دانوا بالمذهب الخارجي.

وهكذا يمكن القول إن المؤرخين أجمعوا على غلبة الفكر الخوارجي على منطقة الجزيرة في فترة من الفترات وخاصة بين قبائل ربيعة. وهذا يدفعنا لتحري الأسباب التي ساعدت على تقبل سكان المنطقة للفكر الخارجي، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

طبيعة تكوين القبائل التي اعتنقت الفكر الخوارجي، فقد وُصفوا بأنهم أعراب كالأعلاج، وصفهم بذلك معن بن يزيد يستعجله في أمر التحكيم المتوقف بسبب τالسلمي (ت:60ه/680م) أحد رجال معاوية في صفين الذي بعثه إلى الإمام علي خروج جزء من جيشه عليه، فقال مخاطباً عليّاً:" لايلفتنك عن رأيك أعاريب بكر وتميم". وهذا يعني أن الإسلام لم يصقل نفوسهم. كما وُصفوا من قبل محمد بن علي (ت:125ه/743م) بأنهم أعراب كأعلاج [22]. وقد يكون هذا الوصف الذي وصفهم

---

[17] العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص152-153.

[18] **الأعلاج:** العِلْج الرجل الشديد الغليظ والجمع أَعْلاج وعُلُوج والعِلْج الرجل من كفَّار العجم. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:711ه/1311م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت، ج2، ص326.

[19] العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص154.

[20] الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1369ه/1950م،ج1، ص191.

[21] العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص154.

[22] **المرجع نفسه**، ص155.

به محمد بن علي بن العباسي من منطلق ماجبلوا عليه من اشتهارهم بالجدل الديني الذي تميز به النصارى، وأدَّى إلى تعدُّد مذاهبهم النصرانية. وكذلك حال الخوارج.

كان للتأثيرات الفكرية التي تَمَثَّلَها أهلُ الجزيرة المسلمون عن طريق اختلاطهم بأهل الكتاب دور في إعادة ما ألغاه الإسلام من الجدل في الدين الذي انتشر حتى بين فئة القراء الذين وصفهم نصر بن مزاحم(ت:212ه/828م) في كتابه وقعة صفين بأنهم ممن تقرحَّت واسودت جباههم من السجود [23].

ويبدو أن احتفاظ بعض قبائل الجزيرة الفراتية بالأخلاق القبلية، كان من أسباب قسوتهم وإطلاق صفة الأعلاج عليهم، إضافة إلى أن غالبية من أسلم منهم كانوا من النصارى الذين اعتادوا على الجدل الديني، وبعضهم الآخر كان من الفرس الذين اعتنقوا عقائد دينية فلسفية. وقد وجد في هذه الحقبة بعض الجدليين النصارى بين المسلمين، فكان يوحنا الدمشقي(ت143ه/760م) من أكبر الجدليين وأكثرهم تأثيراً في العصر الأموي. فقد هاجموا النصارى الذين اعتنقوا الإسلام، واعتبروا الإسلام أحد بدع النصارى [24].

ويبدو أن تأثير يوحنا الدمشقي قد امتد إلى الجزيرة الفراتية وقد أثرت مناقشاته وجداله في آراء خوارجها، وظهر ذلك في معتقداتهم في صفات الله. وكان من معاصريه في الجزيرة الفراتية إيشوعياب الثاني (ت:23ه/644م) مطران نَصِيبِين، وكان بينهم تشابه في الآراء، والتقوا في اجتماعات للبحث في شؤون الدين، حيث شرح فيه هؤلاء الآباء الكبار تعاليمهم التي أثارت دهشة الرهبان، كما جرت مناقشة في القرن الأول الهجري/ نهاية القرن السابع الميلادي بين أحد أهالي حرَّان وبين نصارى الرُّها [25].

ومما ساعد على اعتناق الفكر الخارجي أن بعض أبناء المسلمين، وخاصة ممن كان في المنطقة، واستمروا في الالتحاق بمدارس النصارى الذين سمحوا بتعليمهم التعليم الراقي، وغيرها من العلوم التي تقود إلى الجدل الديني [26].

وأيضاً ترسُّخ بعض العادات التي ورثها سكان المنطقة من النصارى، والتي كان منها الخروج على طاعة أولي الأمر. وهي من عادات النصارى الذين كانوا دائمي الخروج على حكامهم في المرحلة السابقة للإسلام، بسبب اختلافهم في المذهب، فقد وقفوا في وجه هرقل ومنعوه من الدخول إلى كنائسهم وتناول القربان. الذي دعاهم للدخول في المذهب الخلقيدوني، نسبة إلى مجمع خلقيدونية انعقد سنة 451م يُعتبر من أهمّ المجامع، إذ نجم عن هذا المجمع انشقاقٌ أدّى إلى ابتعاد الكنائس الشرقيّة (القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة) عن الشراكة مع الكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة. الكنائس الشرقيّة رفضوا اصطلاح "طبيعتين" الذي كان يوازي عندهم لفظة (شخصين). وكانوا يفضلون عليها تعابير أخرى وردت عند البابا كيرلّس (ت:444م) مثل عبارة "طبيعة واحدة" في قولته الشهيرة: "طبيعة واحدة للإله الكلمة المتجسد".

، واختلافهم في مسألة الإمامة، ويمكن القول: إن هذه τوهذا يشابه موقف الخوارج إثر ظهورهم على الإمام علي العوامل مجتمعة، إضافة إلى المناخ الاجتماعي الذي ساد منطقة الجزيرة، ما ساعدت على انتشار الفكر الخوارجي بين سكانها، وتبني آراء فكرية واعتقادية خاصة. وقاموا بالعديد من الثورات في وجه الأمويين منذ سنة (76ه/695م). فانشغلت الدولة الأموية في إخمادها وكانت تفشل تارة، وتنجح أخرى، وإن استطاع بعض الخلفاء الأمويين إخماد ثوراتهم في بعض الأوقات، إلا أنهم لم يستطيعوا القضاء عليهم نهائياً. فقد استمرت ثوراتهم، وساهمت في القضاء على الحكم الأموي وسقوطه على يد بني العباس سنة (132ه/750م).

---

[23] نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفين**، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1410ه/1990م، ص489.

[24] العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص156-157.

[25] **المرجع نفسه**، ص157.

[26] **المرجع نفسه**، ص157.

وخلاصة القول: إن الجزيرة الفراتية أصبحت مركزاً للخوارج الصفرية منذ أواسط العصر الأموي، فهم الذين قاموا بالعديد من الثورات، وكانت هذه الثورات تنشط عند انشغال الخلافة الأموية في شؤونها الداخلية. وقد قال ابن خلدون:" وشغل مروان بن محمد (132ه/750م)[27] بمن انتفض عليه، فخرج بأرض كفرتوثا سعيد بن بهدل الشيباني(ت:127ه/745) في مئتين من أهل الجزيرة " [28] .

لقد أصبح حزب الخوارج الصفرية منذ الربع الأخير من القرن الأول الهجري من أخطر الأحزاب المعارضة للدولة، وقد امتدَّ نشاطهم من الجزيرة الفراتية إلى خارجها، واتصلوا بخوارج أذربيجان. فقد نقل خليفة بن خياط(ت:240هـ/854م) رواية ذكر فيها قدوم أبي عبيد التغلبي من أذربيجان والتحاقه بخوارج الجزيرة، ومن أقوى حركات خوارج الجزيرة وأشدها ضد الأمويين تلك التي تزعمها الضحاك بن قيس الشيباني(ت:128ه/746م)[29]، الذي نهض في أعقاب مقتل الوليد بن يزيد سنة (126ه/744م)، مستغلّاً انشغال مروان بن محمد بأمر الشام، فتمكن من السيطرة على الكوفة [30].

فالخوارج إذن في الجزيرة، وعلى الأخص في ديار ربيعة حيث بني تغلب. أما من حيث ما قام به هؤلاء من حركات هنا وهناك من أرض الجزيرة، فقد أقلقت بال السلطة المركزية الأموية، وتسببت في خلق أجواء الفوضى والاضطراب ممّا أدى إلى البؤس والشقاء للسكان المحليين، فنذكر تلك الثورات التي وافتنا بها المصادر ومنها:

ـــ ثورة الخارجي صالح بن مسرح الشيباني(ت:76ه/696م) [31].

ـــ ثورة الخارجي سعيد بن بهدل الشيباني(ت:127ه/745) [32].

ـــ ثورة الملبد بن حرملة الشيباني(ت:138ه/756م).

ـــ ثورة بكر بن حميد الشيباني.

ـــ ثورة الوليد بن طريف الشيباني(الشاري)(ت:179ه/795م).

ـــ ثورة الصحصح الحروري(ت:172ه/789م).

ـــ شَبِيب الخارِجي(ت:77ه/696م).

ـــ ثورة الفضيل بن أبي سعيد.

ـــ ثورة محمد بن عمر الشيباني.

وحين نقف للتعرف على موقف أهالي الجزيرة من حركة الخوارج نجد أنهم اتخذوا مواقف اختلفت باختلاف مصالحهم وظروفهم. فنجد أن معظم أهالي الجزيرة مع ولائهم لسلطان بني أمية ويقينهم بعدم شرعية خروج هؤلاء الخوارج، إلا أنهم لم يجرؤوا على محاربة الخوارج والوقوف أمامهم، بل لزموا جانب الحذر والحيطة منهم كما تحصن أهالي كل من دارا

---

[27] الخليفة الأموي مروان بن محمد بن مروان بن الحكم(ت:132ه/750م) آخر خلفاء بني أمية ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417ه/1996م، ج6، ص74-76.

[28] العمري، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، ص157-158.

[29] **الضحاك بن قيس الشيباني:** من عام 745 حتى وفاته في مروان بن محمد الأموي ضد الخليفة الموصل التي قامت في الخوارج زعيم ثورة الزركلي، خيرالدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1422ه/2002م، ج3، ص215..المعركة عام 746

[30] خليفة بن خياط(ت:240ه/854م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405ه/1985م، ص376 وص381.

[31] **صالح بن مسرح الشيباني:** زعيم الصفرية وأول من خرج فيهم، كان كثير العبادة يقيم في أرض دارا والموصل والجزيرة، وكان له أتباع يقرأ لهم القرآن ويعظهم. فدعاهم إلى الخروج وانكار المنكر. ابن قتيبة، **المعارف**، ص410.

[32] شميساني، **مدينة ماردين**، ص61-62.

ونَصِيبِين، وسنجار[33]، ومع ذلك فإن الخوارج لا يبالون في قتل مثل هؤلاء مع مسالمتهم وحيادهم، فقد مر شبيب[34] وأتباعه بجماعة من بني تميم بن شيبان فهرب هؤلاء من وجوههم، وأقبلوا حتى نزلوا دير(خرّزاد)[35] وهم نحو ثلاثة آلاف وتحصنوا فيه فحاصرهم أتباع شبيب، بينما سار هو مع نفر من أصحابه، فمر بجماعة من بني تميم بن شيبان آمنين في أوطانهم، فحمل عليهم شبيب وقتل منهم ثلاثين شيخاً [36].

وبالمقابل نجد أن من أهالي الجزيرة من كان عوناً لهؤلاء الخوارج في قتالهم سواء كان ذلك علناً بالانضمام إليهم، أم كان هذا العون خفية[37].

وهناك مشاركات أخرى لبعض القوى المحلية أسهمت في تقديم العون للخوارج، وسهلت تحركاتهم خلال هجماتهم وحروبهم. ومن أبرز تلك القوى المحلية بعض طوائف النصارى، حيث تم إبرام التحالفات بينهم وبين الخوارج، كما قاموا بتموين حركة الخوارج بما استطاعوا تقديمه لهم من عدد وعتاد، علاوة على ماقاموا به من إيصال بعض المعلومات العسكرية للخوارج بعد جمعها من صفوف أعدائهم[38].

ثانياً ــ أثر حركة الخوارج على الجزيرة الفراتية

لقد أدى وجود الخوارج كقوة سياسية وعسكرية ذات فعالية في إقليم الجزيرة، إلى حروب كثيرة بينهم وبين السلطة المركزية والمحلية الأموية، ويُستدل على ذلك من كثرة الخوارج وسيطرتهم في مناطق الجزيرة وأطرافها، وذلك من خلال النصوص التالية:

قال ابن عبد ربه في حديثه عن مذاهب أهل الأمصار: " قال الأصمعي: البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خوارجية، والحجاز سنية". "والجزيرة كلها خوارجية لأنها مسكن ربيعة، وهي رأس كل فتنة، وأكثرها نصارى وخوارج" [39] .

وأفاد المسعودي(ت:346ه/958م):" والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج وبلدانهم من الأرض مثل سنجار وتل أعفر من بلاد ربيعة، والسن والبوازيح ما يلي بلاد الموصل"[40].

وفي معرض كلامه عن الكور التي غلبت فيها الخوارج ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري(ت:330ه/942م) في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين أن الجزيرة والموصل وعمان وسجستان غلبت فيها الخوارج[41].

وإن ما قام به الخوارج في منطقتي بازَبْدَى وباقِرْدَى بصورة خاصة، والجزيرة الفراتية بصورة عامة أقلق حكم الأمويين من جهة، وعرَّض العديد من مدن الجزيرة للأذى من جهة ثانية. وهنا نشير إلى الثورة التي قام بها الخوارج بقيادة صالح بن مسرح، وشبيب بن يزيد، ضد عامل الجزيرة محمد بن مروان الأموي في أرض الجزيرة، وصف بأنه كان رجلاً ناسكاً صاحب عبادة، له أصحاب في بعض نواحي الجزيرة، عمل على إرشادهم وبثِّ روح الانتقام فيهم ضد الأمويين،

---

[33] الطبري، محمد بن جرير(ت:310ه/922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1383ه/1964م، ج6، ص220.

[34] شَبِيب الخارجي(26-77ه/647-696م) هوأحد كبار الثائرين على بني أمية. هو شبيب بن يَزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك. خرج في الموصل مع صالح بن مسرح على الحجاج الثقفي، فقتل صالح فنادى بالخلافة لنفسه فبايعه حوالى 120 ألف شخص. كاد شبيب أن يهزم الحجاج لولا أن تدخل عبد الملك من الشام بجيش بقيادة سليمان بن الأبرد الكلبي. فر شبيب ولكنه مات، قيل غرقا. الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص156-157.

[35] خرّزاد: مدينة بنواحي الموصل، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص358.

[36] الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج6، ص225.

[37] **المصدر نفسه**، ج6، ص224.

[38] الخرعان، **إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية**، ص120.

[39] ابن عبدربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404ه/1983م، ج7، ص275-276.

[40] المسعودي، الحسن بن علي بن الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423ه/2002م، ج3، ص73.

[41] الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**،ج1، ص191.

وطرد عمالهم من الجزيرة، لأنهم كانوا في نظره ونظر غيره من الخوارج مغتصبين للحقوق، وخارجين عن طاعة الله، ومنتهكين لحرمته، وعصاة في الأرض، وسافكين لدماء الأبرياء. وقد استجاب لمسرح جمع غفير، وساروا معه، واستولوا على ما كان للأمير الأموي من دواب ومتاع، وتقووا بها، ثم انتشروا في بعض المدن والقرى، يدمرون وينهبون ويسلبون، ويتلفون المزروعات ويجبون الأموال بالقوة، وأقاموا بأرض دارا مدة، ومنها أخذوا يغيرون على نَصِيبِين وسواها، وبازَبْدَى وغيرها فألحقوا الأذى بأهلها، والخراب بعمرانها، مما اضطر معه الناس إلى ترك منازلهم وهجر مدنهم وقراهم. كما اضطر الباقون الذين لم يتيسر لهم الخروج إلى إقامة التحصينات لصد هجماتهم، ومنع اعتداءات الخوارج، أو الحد من أخطارهم التي تعاظمت وبخاصة بعد مطاردتهم عدة سرايا قوات الأمير محمد بن مروان إلى ما بعد الموصل. ولكن هذه الأخطار خفَّت وتلاشت بعد مقتل صالح بن مسرح على يد القائد الأموي الحجاج بن يوسف(ت:40ه/714م) [42] .

بالرغم من قضاء مروان على حركة الخوارج في الجزيرة إلا أن هذه الحركة تركت بصماتها على دولة بني أمية بوجه عام، وعلى الجزيرة بوجه خاص، فمن أهم هذه الآثار ما يلي:

أ ـــ كان ظهور الخوارج بالجزيرة سبباً رئيساً من أسباب سقوط الدولة الأموية، ذلك أن الخوارج أشغلوا مروان بقتالهم لمدة طويلة كلفته كثيراً من الجهد وبذل الأموال، علاوة على ما أزهق في هذه الحروب من أرواح كثيرة من جنود بني أمية، ولاشك أن هذا كان سبباً مهمَّاً في إعطاء الفرصة لأعداء مروان خاصة دعاة بني العباس لأن يتحركوا بسهولة، وينظموا أنفسهم بعيداً عن متابعة مروان لهم.

ومما يصور ذلك الأثر قول صاحب أخبار الدولة العباسية: (لمؤلف مجهول) "وقد ظهرت الدعوة ثم اشتغل مروان بمحاربة أهل حمص وأهل فلسطين، وخاصة الخوارج والضحاك بن قيس الشيباني وشيبان بن عبد العزيز، فتفرغ لهم وقد قوي أمرهم وكثرت جماعتهم، وكل ذلك من أسباب الدعوة وإقامة الدولة"[43].

ب ـــ كان لقيام حركة الخوارج بالجزيرة في أواخر الدولة الأموية آثار واضحة على إقليم الجزيرة الفراتية من نواح عدة، لعل من أبرزها الجوانب البشرية والاقتصادية؛ ذلك أن حركة الخوارج أسهمت في إضعاف اقتصاد الإقليم، إذ إن قوام الحروب عادة على الأموال والرجال، وكان إقليم الجزيرة مصدراً مهماً لإمداد هذه الحروب، فهم يشكلون السواد الأعظم لجيوش الخوارج ومروان، وهذا يعني الخسارة الكبيرة التي تعرض لها إقليم الجزيرة في موارده البشرية، فعلى سبيل المثال في المعركة التي كانت بين مروان بن محمد والضحاك بن قيس الشيباني قتل حوالي ستة آلاف رجل، وأما الجانب الاقتصادي فإن قادة الخوارج عندما يدخلون بلداً يبعثون بأموالهم إلى زعيم الخوارج ليكون عوناً لهم[44]، وإذا أمعنا النظر في حجم المصروفات التي يدفعها قادة الخوارج في حروبهم والمرتبات التي يعطونها لمقاتليهم، فإننا سندرك ضخامة الأعباء الاقتصادية على إقليم الجزيرة، إذ إن جزءاً كبيراً من تلك الأموال كانت من أمواله.

الخاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن حركة الخوارج ظهرت في مناطق عدة من العالم الإسلامي وخاصة في فترة الدولة الدولة الأموية والعباسية وبالتحديد في منطقة الجزيرة الفراتية ومدنها وارتبطت الحركة بالأحداث السياسية التي عاشها العالم الإسلامي ويمكننا استخلاص ما تركته أحداث تلك المرحلة إضعاف الحكم الأموي في منطقة الجزيرة، من خلال العنف الذي عُرف عن الخوارج وردة الفعل، كانت تراق الدماء من كافة الأطراف ولم يكن نجاح الأمويين في القضاء على ثورات

---

[42] غندور، محمد يوسف، **تاريخ جزيرة ابن عمر**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1410ه/1990م، ص39-41.

[43] الخرعان، **إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية**، ص202.

[44] ابن خياط، **تاريخ خليفة بن خياط**، ص376.

الخوارج ناجماً عن ضخامة الجيوش التي سخروها لهذه المهمة فحسب، بل وإلى إنقسام هذه المجموعات الثائرة بسبب خلافاتها الداخلية.

وأخيراً نذكر أن من الأمور المترتبة على الخروج على الدولة الأموية آثار سلبية أدت إلى ضعف الدولة الأموية لاحقاً ومن ثم سقوطها على يد العباسيين.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن حوقل النصيبي، أبوالقاسم محمد بن علي(ت:367ه/977م)، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412ه/1992م.
2. ابن شداد، عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت:684ه/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1411ه/1991م.
3. ابن عبدربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404ه/1983م.
4. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ، ط4، د.ت.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم(ت:711ه/1311م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.
6. أبو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر(ت:732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1246ه/1830م.
7. الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1369ه/1950م.
8. الإصطخري، إبراهيم بن محمد (ت:340ه/951م)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، 1346ه/1927م.
9. الخرعان، عبدالله بن عبدالرحمن بن زيد، **إقليم الجزيرة الفراتية في عهد الدولة الأموية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، 1409ه/1989م.
10. خليفة بن خياط(ت:240ه/854م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405ه/1985م.
11. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417ه/1996م.
12. الزركلي، خيرالدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 1422ه/2002م.
13. شميساني، **مدينة ماردين من الفتح العربي إلى سنة 1515م/921ه**، دار عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407ه/1987م.
14. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1413ه/1992م.
15. الصلابي، علي محمد، **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنيين علي بن أبي طالب**، مكتبة الصحابة، الشارقة، 1425ه/2004م.
16. الطبري، محمد بن جرير(ت:310ه/922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1383ه/1964م.

17. العمري، سعاد أحمد، **الجزيرة الفراتية من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية**، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1416ه/1995م.
18. غندور، محمد يوسف، **تاريخ جزيرة ابن عمر**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1410ه/1990م.
19. قوينجو، مولود، **مسيرة الفتح الإسلامي لمنطقة الجزيرة**، مجلة جامعة صقاريا للآداب والفنون، عدد1، 2008م.
20. مجموعة من المؤلفين، **الموسوعة العربية**، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422ه/2002م.
21. المسعودي، الحسن بن علي بن الحسين بن علي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423ه/2002م.
22. المقدسي، محمد بن أحمد(ت:380ه/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، مدينة ليدن الهولندية، ط2، 1324ه/1906م.
23. نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفين**، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1410ه/1990م.
24. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت: 626ه/1299م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397ه/1977م.